« القصر الجنوبي (قلعة نبوخذ نصر) »

شاه محمد علي الصيواني
منقب آثار

الزملاء الأعزاء :

اسمحوا لي أن أستعرض معكم هنا أهم النتائج التي توصلنا اليها خلال عمليات التحري والتنقيب وما صاحبها من أعمال الترميم والصيانة الأثرية في نقطة القصر الجنوبي ، ونأمل ن نستأنس بآرائكم حول أسلوب عملنا ومعالجتنا لبعض المشاكل الأثرية التي واجهتنا خلال عملنا في هذا الموسم .

لدى مباشرة هيئة مشروع الأحياء الأثري لمدينة بابل بتنفيذ خطة عملها في مطلع هذا العام ـ أي ١٩٧٨/٢/١٤ فقد انيطت بي مهام الاشراف على عمليات التحري والصيانة الأثرية في القصر الجنوبي (إضافة إلى عمل جانبي آخر هو تهيئة ما يمكن تهيئته من المواد الأولية الرئيسة التي تدخل في صيانة واعادة ما فقد من هذا القصر وغيره من الأبنية المنتشرة في المدينة موقعياً) . وخلال الاجتماعات الدورية لهيئة المشروع ، تم إقرار خطة عمل خاصة بهذا القصر نظراً لسعته وإعتباره من أضخم المعالم البنائية القائمة اليوم في مدينة بابل ، والذي قام شراسة الانسان وقساوة الطبيعة . هذا البناء الشامخ ان دل على شيء فانه يدل على عظمة بانيه وقوة شخصيته وإدراكه الفائق بدقة التخطيط وفنون العمارة التي يتطلبها تشييد مثل هذه الوحدة البنائية المتكاملة ، فقد حافظ القصر على التفاصيل الهندسية والعمارية وانه البناء الوحيد الذي حافظ على تخطيطه المتكامل[١] .

وربما لا نبالغ إذا قلنا انه يمثل قلب المدينة بالنسبة لتخطيطها ، وبالنسبة للبقايا المتبقية من معالم المدينة ككل فيحده من الجانب الشرقي شارع الموكب الشارع الرئيسي في المدينة ويكون موازياً له من الزاوية الشرقية وحتى الزاوية الشمالية ، ومن المغرب مصطبة عالية والمجرى القديم لنهر الفرات وشمالاً يحده السور الداخلي للمدينة وإلى الجنوب منه المدينة الداخلية إستناداً إلى ما هو مثبت في خارطة تنقيبات المدينة . (شكل ١)*

واسمحوا لي أن أثبت هنا رأياً حول اختيار موقع هذا القصر ربما يعود إلى بعض استحكامات الطبيعية التي من الممكن اتخاذها كعناصر دفاعية عن البناء ومن فيه فنعتقد بأن هذا الاختيار لسبب وجود نهر الفرات المحافظ للقصر من جهة الغرب الشمالية الغربي .

الأدوار البنائية التي مرت على القصر :

من الممكن عرض بعض المعلومات التي هدتنا اليها نتائج التنقيبات للآن وهي كما يلي :

١ ـ ربما هناك قصور ملكية سبقت هذا القصر ، وتقع تحته ولكن لا يمكن تحقيق ذلك لوقوعها ـ ان كانت موجودة ـ تحت مستوى المياه الجوفية .

٢ ـ اقدم دور بنائي مكتشف للآن في هذا القصر يعود للملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق . م) ويقع في الزاوية الشمالية الغربية ، كما ان الجدار النهري يعود الى هذا الملك أيضاً ، وهذا ما يذهب إليه كولدفاي رغم عدم العثور عليه خلال حملته التنقيبية[١]

٣ ـ قصر نبوبلاصر (٦٢٥ ـ ٦٠٤ ق . م) المبني من اللبن على أسس من الآجر المحاط بجدار مغلق الذي يعود له المدخل ذو السقف المقوس (المقبب)[٢] .

٤ ـ قصر نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م)

الفرضية التي دونها كولدفاي تقول (بدل نبوخذ نصر ابنية اللبن التي بنيت من قبل ابيه ووضع محله آجر[٣]

هذه الفرضية ممكن الاعتماد عليها وتثبيتها كنقطة مهمة من مراحل بناء القصر ككل . حيث أن الأبنية التي نشاهدها اليوم ، في الغالب تعود معظمها الى هذا الملك العظيم المشيد الرئيسي لهذا القصر وبعدة مراحل اهمها :

أ ـ بناء الجزء الشرقي بعد ازالة جدران قصر ابيه المبني من اللبن .*

ب ـ توسيع القصر غرباً ، وانهاء الذراع النهري وربط ذلك بالجهة الشرقية ، هكذا ذهب كولدفاي في هذه الفرضية[٤] . الا أننا واقعاً لم يثبت لدينا ذلك في الوقت الحاضر ، وربما في المستقبل سيتأكد لدينا ذلك بعد توسيع أعمال التحري والتنقيب وعملية التخلص من المياه الأرضية (الجوفية) .

حـ ـ تعلية أسس هذا القصر والتي ترتبط بأعمال نبوخذنصر البنائية الأخرى القريبة من القصر . كبناء القصر الرئيسي وتعلية شارع الموكب وبناء الجدر الجانبية لهذا الشارع بمادة الحجر .[٥]

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٥ ـ دور الملك نبونائيد (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق . م)

من الممكن ان هذا الملك اجرى بعض التصليحات والاضافات في هذا القصر ، ربما نعثر مستقبلاً على كتابات جدارية ـ آجر مختوم ـ تذكر ذلك ، الا أن المعتقد بأن هذا الملك استعمل القصر في ادارة مملكته وربما اتخذه نموذجاً حياً لبناء قصره في تيماء ، نأمل ان تتاح لنا الفرصة للتنقيب في مدينة تيماء لتحقيق ذلك .

٦ ـ يقول كولدفاي . بعد تغيير مجرى نهر الفرات الى الشرق تم توحيد القصر بجدر مزينة متطورة[٦] . ماذا يقصد **بفرضيته** هذه ، وهل أن النهر كان يقسم القصر الى قسمين ؟ انها فرضية بعيدة عن الواقع في الوقت الحاضر (على اقل تقدير) ونترك تصحيحها الى ما بعد نتائج أعمال التحري والتنقيب في المستقبل صحيح ان النهر ممكن ان يغير مجراه[٧] . الا انه كما هو معروف لدينا بأن نهر الفرات خلال تغيير مجراه يتجه نحو الغرب . وعليه نعتقد انه من المستبعد ان النهر قد شطر القصر خلال عمليات التغيير في مجراه . فمن خلال العمليات التي تجرى لدراسات مسار المياه الجوفية في المدينة ، فهناك مؤشرات حول طبقة رملية سميكة جنوبي القصر وبثخن (١٧ م) ويعتقد بأن المجرى القديم للفرات كان يمر من هذه المنطقة وذلك خلال الألف الثاني ق . م أي عندما اخذت مدينة بابل تحتل مركزاً حضارياً في اعقاب مدينة كيش .

٧ ـ بناء الجزء الجنوبي الغربي من القصر من قبل الملك الارخميني . ارتحشتا الثاني ٤٠٤ ـ ٣٥٩ ق . م) يقصد كولدفاي بفرضيته هذه (٨) بناء المصطبة الكبيرة التي الى الغرب من القصر وعلى حافة نهر الفرات مباشرة . ثم بناء منشآت اخرى فوقها . لان المعروف ان الجزء الجنوبي الغربي للقصر هو منطقة الحمامات وأبنية اخرى . وان اعمال التحري ـ والتنقيب مستقبلاً ستعطي ضوءا بالصح او الخطأ على هذه الفرضية وعن ماهية هذه المصطبة .

٨ ـ وفي العهد الفرثي بدأ نوع من التعمير في القصر ، وفي هذه الفترة أيضاً رجع النهر الى مجراه الأصلي ، الى الغرب من القصر* ـ كما يرى ذلك كولدفاي[٩] . الا ان فرضية التغيير بهذا الشكل لم تدعم بأي دليل أثري لحد الآن ، وفي الفترة الفرثية المتأخرة وربما الساساني اتخذت الساحة الوسطى الكبيرة من القصر كمقبرة كبيرة . وقد عثر كولدفاي على عدد كبير من القبور وفي هذه المنطقة من القصر .*

وبابل اليوم مقبلة بفضل تنفيذ الدراسات التفصيلية لمشروع احيائها انبعاثاً جديداً لتنفض غبار التاريخ وتعود لتشير الى ماضي مزدهر **واصالة** عريقة وسنسعى بالعمل الجاد والجهد المتواصل الى التحقيق عن التخطيط الكامل لهذا القصر والأبنية القريبة منه .

خطة العمل :

نحن الآن في بداية الطريق ، وأمامنا وقت طويل للاجابة على أسئلة عمارية وتاريخية لمراحل البناء والادوار التاريخية التي مرت على اضخم قصر شيده الانسان في تاريخ الشرق القديم رغم ما ذكرناه ـ اسئلة تريد اجوبة مقنعة لا يمكن تحديد اجوبتها في الوقت الحاضر وبدقة ، طالما وأننا في المرحلة الأولى (من اعمال التحري والتنقيب التفصيلي) والتي تمثل حقلاً مساحته بحدود (٣) آلاف متر مربع من أصل (٥١) ألف متر مربع التي هي مساحة القصر الكلي . ثم أن اعمالنا التمهيدية في الوقت الحاضر ، هي إزالة الانقاض والأتربة التي تراكمت بسبب التخريب وسرقة الآجر . والعوارض الطبيعية التي لعبت دورها القاسي والطويل في تخريب معالم المدينة ككل .

ان هذا البناء الضخم (شكل ٢) بحاجةٍ إلى عملٍ متواصلٍ لانقاذِ البقايا المتبقية من جدره وإعادة الأجزاء التي ازيلت منه بفعل العوامل التي ذكرناها **مسبقاً**

ونظراً لسعةِ القصرِ فقد اضطررنا إلى تقسيم العمل فيه الى خمسِ مراحلٍ وباشرنا في هذا الموسم ـ الأول بالنسبة لمشروع الاحياء الأثري لمدينة بابل ـ بتنفيذِ المرحلة الأولى والتي تشمل الجزء الشرقي الموازي لشارع الموكب وما يحيط بالساحة الشرقية من ابنية . (شكل ٣) .

وربما أن العمل في هذه المرحلة قد يستغرق أكثر من سنتين لتعرض هذا الجزء من القصر إلى التخريب أكثر من أي جزء آخر ..

ملاحظات عامة عن حقلِ العملِ :

خلال عمليات التحري في الواجهة الأمامية من القصر استبانت لنا طبقات من الآكام بين رمل ورماد وتراب نقي ، ربما تدل على أن القصر قد تعرض إلى تخريب في أدوار زمنية مختلفة ، (شكل ٤ ـ ٨) فطبقات الرمل والرماد تتراكم احداها فوق الأخرى بصورة مستمرة حتى تصل الى بداية المياه الجوفية ، وهي ربما تشير لمراحل دفن متعددة في المنطقة الكائنة بين سور القصر ورصيف الشارع الحالي .

ومن أبرز الظواهر التي جابهتنا اثناء عمليات التحري ورفع الانقاض ، كثرة التخريب في لب جدر الوحدات البنائية[١٠] . والسؤالُ يطرح نفسَهُ هنا ، هل ان هذه التخريبات حدثت بعد كشفها من قبل الالمان أم أنها تعود إلى الأدوار الزمنية التي تلت سقوط مدينة بابل ؟ ويرجح بأن عمليات التخريب هذه جاءت نتيجة استخراج الآجر من قبل سراقه في أدوار زمنية متعددة بما في **تلك** الفترة التي اعقبت حملة كولدفاي ـ التنقيبية للمدينة (١٨٩٩ ـ ١٩١٧) وبهذه المناسبة لا بد من الاشارة الى ما بذله الرجل من جهود في تعريف العالم بالمدينة ، غير ان مردود اعماله قد ساهم الى توسيع اعمال التخريب في المدينة بوجه عام والقصر بوجه خاص ، حيث لاحظنا التخريب شبه الكامل لسور القصر وما يحضنه من المرافق في القسم الموازي لشارع الموكب والسبب في ذلك ضخامة جدر السور وثخنها الكبير مما يساعد على استغلالِ هذا الثخن في النزول الى اعمق نقطة من لبة الجدار ـ بعد ترك جزء بسيط من هذا الثخن للمحافظة على الشخص المخرب ـ عند سرقة الآجر من هذه الجدر قديماً كانت أم حديثاً . وقد لاحظنا عند رفع الآكام والأتربة من منطقة السور ، وجود فتحات التخريب حتى في واجهة الجدر (شكل ٩) ، وفحوى هذه الفتحات التي تنزل بعضُها الى مستوى المياه الجوفية ، للهروب عند انهيار الجدران او استخراج الآجر بواسطتها .

وتم الكشف عن شريط كتابي مدون بالخط المسماري ـ يعود للملك (نبوخذنصر) في الواجهة المؤدية الى القصر ، (شكل ١٠) بما في ذلك المدخل الرئيس بجزئيه المؤدي الى الساحة الشرقية . وقد استظهرت للآن ومن جراء الانقاض ، ثلاثة أشرطة كتابية وهي تعود (كما قلنا) للملك نبوخذ نصر) ٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م ونعتقد بأن هذه الاشرطة الكتابية كانت تزين السور من الزاوية الشرقية وحتى الزاوية الشمالية (شكل ١١) ، أي الجدار الذي يحيط (بالأبنية ذات الاقبية)

كما ان هذا الشريط الكتابي يتكون من نص واحد يتكرر في كل آجره من آجرات الشريط .*

وظهرت مرافق غير مؤشرة في الخارطةالقديمة (المرسومة من قبل الالمان)[١٢] وبالذات في الزاوية الجنوبية الشرقية من الساحة (شكل ١٢) ، منها بناء مستطيل منتظم مبنى بالآجر يحيطه بناء آخر مبني بكسر الآجر والطين ، كغلاف للأول ربما يمثل بئراً مستطيل الشكل وقياساته

أ ـ البناء الداخلي منتظم ١٥٠× ١٥٠ × ٣٠ سم .

ب ـ البناء الخارجي المحيط للداخلي ١٩٠× ١٦٥ × ٤٥ سم وارتفاع المستظهر منه ٢,٤٥ م .

أما البناء الثاني الذي ظهر شمالي البناء الأول بمقدار ٦,٢٠ م فهو بناء دائري قطر فوهته ١٠٥ سم (شكل ١٣) .

انه مشيد من الآجر قياسه (٣٢,٥ × ٣٢,٥ × ٨ سم) والارتفاع الظاهر للآن (٥م) ربما ينزلا إلى الأعمق . ونلاحظ الدقة والاعتناء بالبناء وبهندمة آجره بحيث ان الآجرة الواحدة نحتت بشكل يلائم استدارة وجهيه الداخلي والخارجي . واثناء ازالة الانقاض من المرافق والغرف والتعرف على التفاصيل البنائية لها . لاحظنا ان بعضاً من مداخل هذه المرافق قد اغلقت بصفين او ثلاثة من اللبن في الأقسام العليا (شكل ١٤) ويرجح انها اضافات متأخرة ونأمل ان تهدينا أعمال التحري في بقية الأجزاء الأخرى للتعرف عن ماهيتها ـ والغرض من اقامتها .

ثم هناك دعامتان من اللبن تسندان جانبي القسم الأول من المدخل الرئيسي (المبني من الآجر) وقياساتها (٢,٢٥ م) طولاً و(١,٦٠ م) ثخناً وارتفاعها (٣,٥ م) (شكل ١٥) والظاهر للآن ان هناك ساند آخر على هيئة مصطبة مبنية باللبن تسند الركن الشمالي الغربي من المدخل الثاني المؤدي إلى الساحة . وتمتد هذه المصطبة نحو الشمال الغربي ونحو الغرب باتجاه فسحة الساحة . وقد تركنا العمل في هذه المنطقة ريثما ننهي تحرير السور الموازي لشارع الموكب والغرف والمرافق المحصورة بين مدخلي القصر شمالاً وجنوباً وخلال تحرياتنا وتتبع أسس سور القصر باتجاه الشمال . استبانت طلعة تقابل طلعة المدخل الرئيسي للقصر (شكل ١٦) . ومما يجدر تثبيته هنا ان هذه الطلعة تَكْونُ واجهتها المواجهة لطلعة المدخل الرئيس مدرجة بخلاف ما هو في طلعة المدخل ، وان عرض الطلعة المدرجة (١٨٦ سم) ـ بينما عرض طلعة المدخل (١٤١ سم) ـ وعمق التدرج ـ الارتفاع (٤ م) وعدد المدرجات (٤٨) مدرجاً يتراوح تدرجها (٦ ـ ٨ سم) وهذه الطلعة المدرجة تمثل جداراً طوله (٦ م) والذي يمثل نهاية السور المنفرد عند الساحة الشرقية (شكل ١٧) وبعده حيث يَتَكَونُ السور من جدارٍ مزدوجٍ حتى قرب بوابة عشتار ومن الملاحظ ان الأشرطة الكتابية التي تزين المدخل « وواجهة » السور تستمر أيضاً في الجدار المدرج وبنفس المستوى .

وتعليلنا لهذا الجدار المدرج هو ، أما أن الأرض رخوة لا تتحمل ثقل الجدار الضخم او انه بنى بهذا الشكل كساند لجدار اقدم . ولدى التدقيق في نوعية الدفن في هذه النقطة اتضح لنا بأنها نوعية تتألف من رماد ممزوج بالرمل وهي مادة رخوة وتستمر حتى مستوى المياه الجوفية .

ومما يجدر الاشارة اليه ان بناء هذا الجدار ، لا يختلف تاريخياً عن بقية جدر القصر (والسور خاصة) وذلك لاستمرار الاشرطة الكتابية التي تعود الى الملك (نبوخذ نصر الثاني) (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م) .

أعمال الصيانة الأثرية في الجدر المستظهرة : لقد سعينا خلال اعمال الصيانة الأثرية الحفاظ على الطابع الأثري للبناء جهد المستطاع .

وتجنب اية اضافات جديدة . وحاولنا تطبيق قواعد والمبادئ الخاصة بصيانة الأبنية الأثرية التي توصلنا اليها من خلال الممارسة الطويلة في هذا المجال .

ايها الزملاء : لقد كانت الجدران المستظهرة مهترئة ، وازيلت اجزاء كبيرة منها . بفعل سراق الآجر وأعمال التخريب والعوارض الطبيعية (شكل ١٨) ، فلا بُدَّ من اجراء بعض ـ الاستحداثات الجديدة . فشرعية هذه العملية واضحة ومقبولة ، لانه حتى الجسم الحي يعيش فقط بفضل التغييرات الدائمة للخلايا التي تموت . غير أن هذه التغييرات التي تحصل يجب ان لا تؤثر على الشكل العام للبناء ، فبعد ازالة الانقاض واجراء عمليات تصريف المياه عن الاجزاء المكتشفة ، لاحظنا انها تحتاج الى المعالجة الفورية للمحافظة عليها من التصدع والانهيار فقمنا بتنظيفها وغسلها جيداً ثم تسييعها بمادة الفلنكوت المانعة للرطوبة ، والمباشرة بعمليات الصيانة الفورية التي اقتضها ضرورة الحفاظ على البقايا المتبقية من الجدران المتصدعة والمائلة للانهيار ، وباشرنا بملء الفراغات المستحدثة فيها (في لبها) (شكل ١٩) وقد تم للآن صيانة (٦٢٤ م^{٣}) موزعة على الاجزاء المستظهرة من سور ومرافق الجزء الشرقي من القصر . علماً بأن المادة المستخدمة في الصيانة هي الآجر المعمول موقعياً من قبل المشروع وفق القياسات البابلية القديمة ، ومادة السمنت المقاوم للأملاح كملاط للبناء واستخدام مزيج من مادة الفلنكوت والكلس المطحون (بورك) لتحشية واجهات الجدران بدلاً عن مادة القار لتضفي على البناء الطابع القديم علماً بأن البابليين كانوا قد استخدموا مادة القار في تشييد معظم ابنية بابل ، ولكن من خلال فشل تجارب سابقة في استخدام القار المحلي في أعمال صيانة ابنية بابل ، دفعنا في استخدام هذه المواد البديلة (الفلنكوت ـ البورك ـ السمنت ـ الرمل وغيرها) طالما انها اكثر صلاحية لاعمالنا للآن ، كما انها تضفي على البناء طابعه القديم . وآمل ان نتوصل في المستقبل الى ايجاد البديل الانسب وبنفس المواصفات البابلية القديمة .

هذا وسوف نستمر في صيانة ما تم استظهاره للآن وما سيستظهر مستقبلاً الى ارتفاعات مناسبة بحيث لا تشوه الطابع القديم للقصر . وفي الوقت نفسه يمكن اعطاء صورة واضحة عن جميع مرافقه . (شكل ٢٠ ، ٢١) .

وشكراً ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

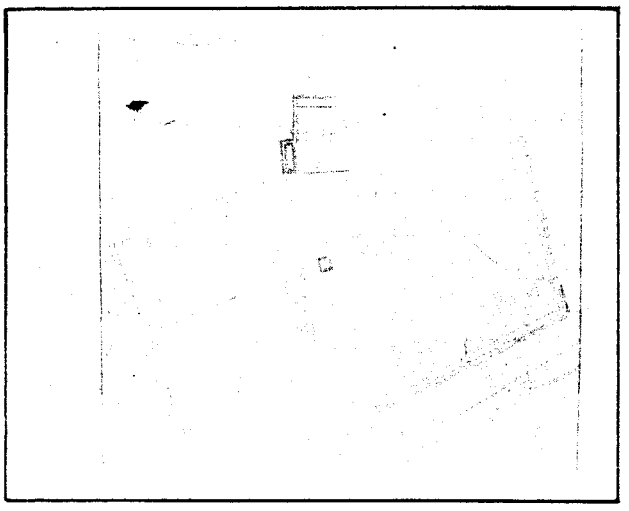

Fig. 1

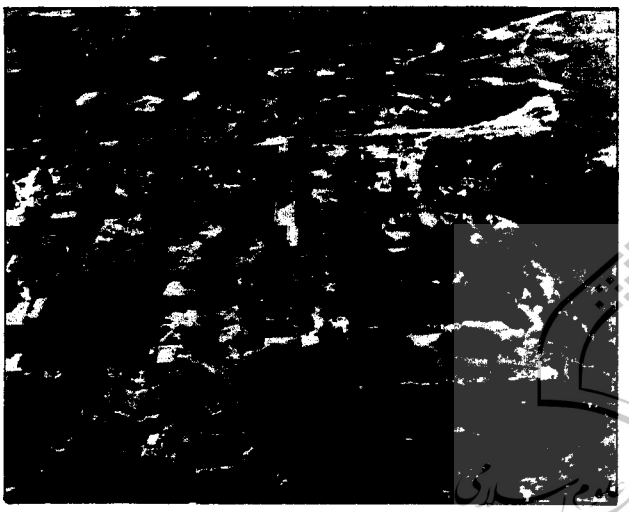

Fig. 3

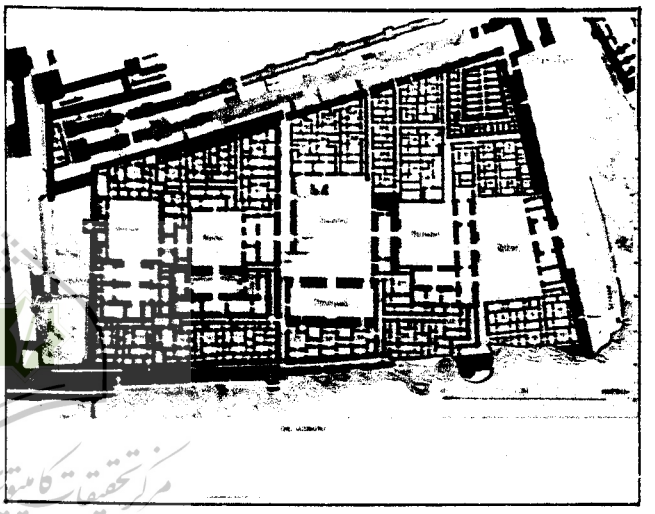

Fig. 2

Fig. 4

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Fig. 5

Fig. 8

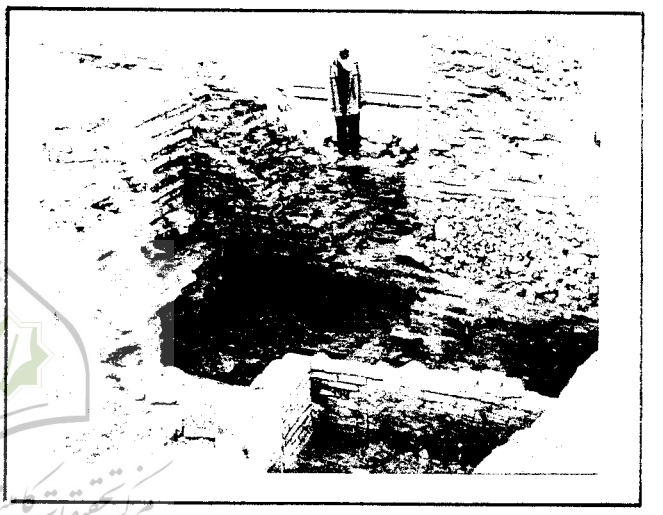

Fig. 6

Fig. 7

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Fig. 9

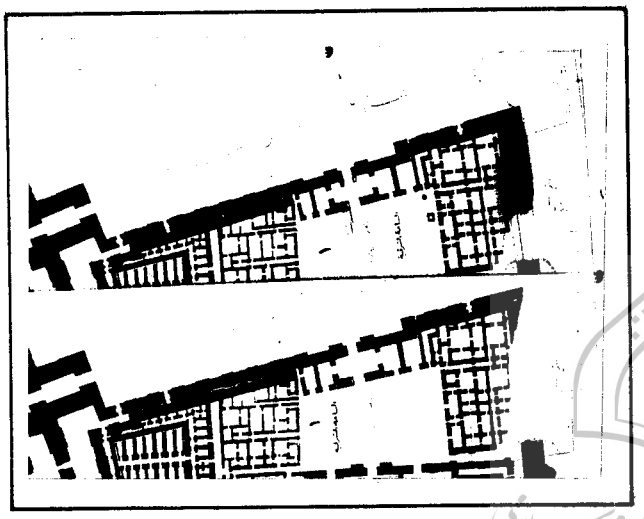

Fig. 12

Fig. 10

Fig. 11

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

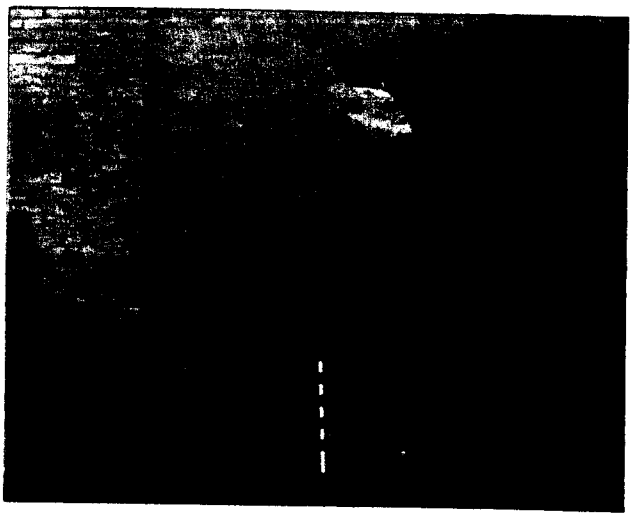

Fig. 14

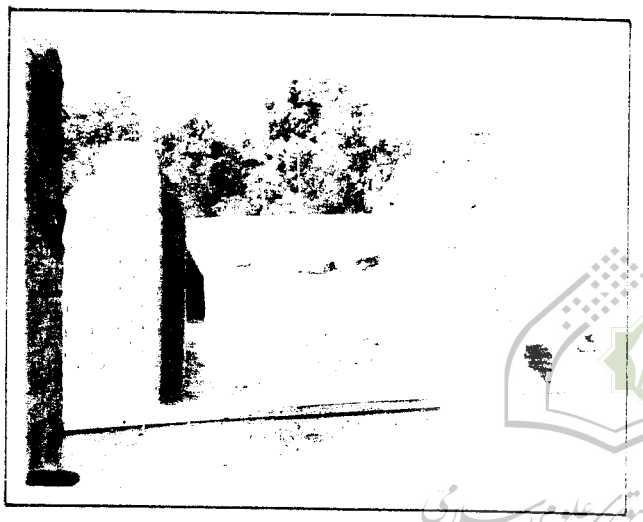

Fig. 15

Fig. 13

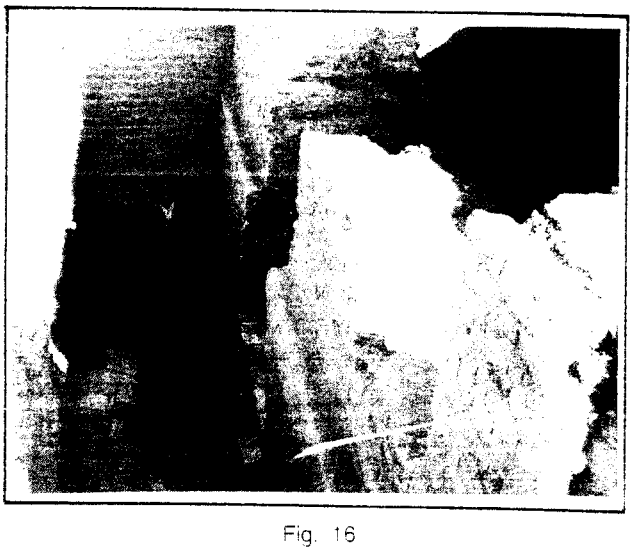

Fig. 16

Fig. 16

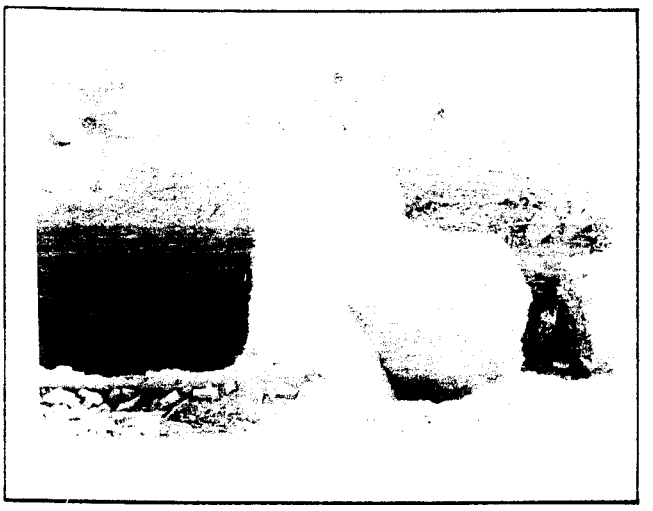

Fig. 17

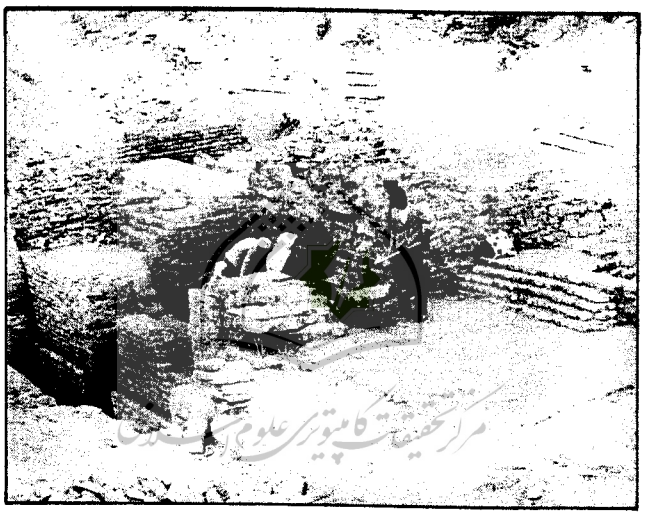

Fig. 21

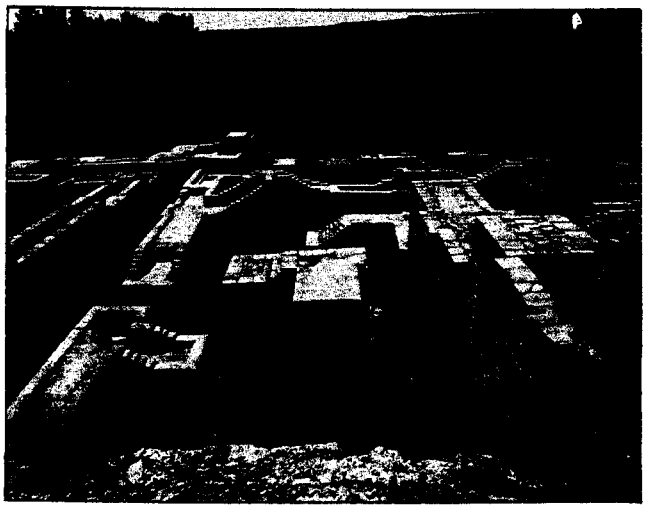

Fig. 20